**المحاضرة السادسة**

**المصطلحات المحورية: الإبداع، الانزياح**

**الإبـداع**

"الإبداع" مصطلح قديم، ولكن الحداثة نفخت فيه من روحها، ثم ادّعت أنه هو جوهرها وروحها، فكثر تداوله لغة واصطلاحا، ممارسة وشعارا، وكان حظ العرب من تداوله وفيرا؛ ولكن شعارا لا ممارسة، ووهما لاحقيقة.

ولمّا كان الإبداع هو روح الحداثة، وكان العرب كلِفين بالحداثة، فقد وجب أن يهتموا بالإبداع، ووجب على نقاد الأدب أن يلزموا الشعراء والقصاصين والمسرحيين خاصة أن يكونوا مبدعين لا مقلّدين؛ فالشاعر يكون مبدعا أو لا يكون، وكذلك القاص والمسرحي.. وهكذا صرنا نقرأ خطابا نقديا يطلق مصطلح "المبدع" على الشاعر والقاص والمسرحي، سواء أكان هؤلاء مبدعين بحق، أم كانوا مجرد مؤلفين لقصائد وقصص وروايات ومسرحيات.

تُرى هل تقبل العربية إطلاق مصطلح "المبدع" على الشاعر والقاص والمسرحي؟ لننظر أولا في الدلالة اللغوية لهذا التركيب الصوتي:

في "لسان العرب" قول ابن منظور: "بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه. والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوّلا (...) والبديعُ: المُحدَثُ العجيب. والبديع: المبدع. وأبدعتُ الشيءَ: اخترعتُهُ لا على مِثال (...) وسقاءٌ بديعٌ: جديدٌ، وكذلك زِمام بديعٌ (...) وأبدعَ الشاعرُ: جاء بالبديع.."[[1]](#footnote-2)وفي كتاب التعريفات قول الجرجاني: "(الإبداع): إيجاد الشيء من لا شيء.. والخلق إيجاد شيء من شيء"[[2]](#footnote-3)وفي المعجم العربي الأساسي (وهو حديث): "بدعَ الشيءَ: أنشأه على غير مثال سابق. (...) أبدعَ الشخصُ: أجادَ وتميّزَ في عمله. أبدعَ الشيءَ: خلقه واخترعه. (...) إبداعٌ: ابتكار.. وفي الفلسفة: إيجاد الشيء من عدم.."[[3]](#footnote-4).

في هذه المعاجم الثلاثة إجماع على أن الإبداع هو الإنشاء بدءا والاختراع سبقا لا على مثال ومنوال. وأن البديع هو الجديد المُعجِب لحداثته. وأن المبدع هو الذي يخترع ويأتي بالجديد ويتميّز. وينفرد المعجم العربي الأساسي بإضافة معنى إجادة العمل والتميز فيه؛ وهي إضافة مقبولة روعي فيها استعمال أهل العصر كلمة "أبدع" بهذا المعنى، وهو ذو صلة بالمعنى الأصلي؛ إذ الذي يجيد في عمله ويتميز لا يكون كذلك إلا بلون من التجديد الذي يلفت الانتباه.

والبديع في النقد الأدبي هو الجديد الطريف الغريب المُعجِب، وفي البلاغة أنواع من الأساليب تحسّن الكلام وتزينه فتجعله معجبا؛ فهو ذو صلة بالجديد الطريف من حيث الاشتراك في إثارة الإعجاب. ولابن رشيق رأي في الاختراع والإبداع يحسن ذكره في هذا المقام؛ وهو "أن الاختراع: خلق المعاني التي لم يُسبَق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق."[[4]](#footnote-5)

ويظهر مما ذكرنا أن "الإبداع" مرتبط بالجديد. والجديد من شأنه –حين يكون جميلا- أن يُعجب ويطرب؛ ولكن الجديد الجديدَ عزيز المنال، لذلك قال ابن رشيق: "وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا وتولّد، غير أن ذلك قليل في الوقت."[[5]](#footnote-6)فنتج عن ذلك أن سميتْ ألوان من الأساليب البلاغية التحسينية بديعا وإن تكررت في الكلام، لأنها في الأصل مخترعة وما تزال مع تكرارها محل استظراف وإعجاب. فالشاعر المبدع هو من يخترع المعاني والأساليب، ومن يأتي في شعره بالطريف المثير العجيب. وليس كل شاعر مبدعا حتى يطلق على الشاعر مطلقا مصطلح "المبدع". لقد صار ذلك بدعة في الخطاب النقدي المعاصر، وما أظنها بدعة حسنة، بل هي انحراف عن أصل المعنى وتمييع للمفاهيم. ولقد تجوّز العرب أن يطلقوا ما هو من اختصاص الخالق المبدع على ما هو من فعل الإنسان إذا أتى بالجديد العجيب، أما أن نتجوّز أكثر من ذلك فنسمي الشاعر مبدعا ولو لم تستقم له عبارة على شروط الفصاحة والبلاغة، ناهيك عن أن يأتي بالجديد العجيب، فإنّ ذلك مما ينبو عن المنهج العلمي في الاصطلاح، ويسقط في إغراء مطابقة الآخر الذي قد يطلق على مؤلف عمل فني مصطلح "Créateur".

**الانزيـاح**

غريبٌ شأنُ هذا "الانزياح" العجيب؛ فلم أرَ مثله مصطلحا نقديا بلاغيا كسب شهرة واسعة، وحظي برعاية فائقة، وحصل له القبول عند أبناء العربية حداثيِّهم وتراثيّهم، وهو لا يقوم على أصل أصيل، ولا يدل على المحمول الذي أُريد له أن يضطلع بحمله دلالة مستقيمة؛ مع أن المفهوم الذي أُريد له أن يدل عليه عبّر عنه تراثنا البلاغي بمصطلحات شتى، لم يخطر لناقد عربي أن يجعله من ضمنها؛ لأن العربية الأصيلة التي هم أربابها وأساطينها لا تتحمل الدلالة على هذا المفهوم بهذا "الانزياح" العجيب !

ومن العجيب أيضا، أن النقاد والباحثين العرب المعاصرين، يخالفون عادتهم حين يتكلمون في تأصيل المصطلحات، بالعودة إلى جذورها اللغوية والنظر في مدى تناسبها مع المفاهيم المقصودة؛ فهم لا يكادون يفعلون ذلك مع مصطلح "الانزياح"؛ وكأنما هو مصطلح نزل من السماء فوجب القبول به دون نقاش، أو كأنما هو مصطلح عربي عريق أصيل متداول مشهور فلا حاجة إلى نبش جذوره وتأصيل أصوله، أو كأنما هو مما يُؤخذ بالسماع لا بالقياس؛ وقد حلا في السمع وجرى في الاستعمال، فلمَ إضاعة الوقت في مناقشة بطاقة هويته وكيفية حصوله !

ومن العجيب أيضا، أن بعض الذين أرادوا أن يجعلوا له أصلا مقبولا في العربية، توهموا أن أصله من الفعل "نزح" الذي يعني: بَعُد، وقادهم التوهم إلى ربط علاقة دلالية بينه وبين دلالته الاصطلاحية في أصولها الغربية؛ فـ"الانزياح:L,écart" في القاموس الموسوعي "لاروس" هو "فعل الكلام الذي يبتعد عن القاعدة." وما دام الأمر أمر ابتعاد وحسب، فالنزوح ابتعاد، والانزياح والنزوح عائلة واحدة، والاستعمال دقيقٌ إذن وموفقٌ لا غبار عليه!

معلوم أن "الانزياح" مصطلح جديد على العربية، اصطُنع ليكون مقابلا لمصطلح "Ecart" في الفرنسية، كي يضطلع بحمل دلالة ما يحصل في اللغة الأدبية من مخالفة المعيار وخرق القاعدة وتجاوز المألوف والانحراف عن السائد والإغراب في الأسلوب والإبداع في الشكل أو المضمون أو المنهج أو المذهب؛ وهي ظواهر فنية تطرد في الأعمال الأدبية الناجحة قديما وحديثا، بمقادير متفاوتة في درجة المخالفة والتجاوز والانحراف والإغراب والجدة.

وقد عُبِّر عن هذا المفهوم بمصطلحات كثيرة منها:

Créativité,Innovation; Déviation,Distorsion,Anomalie, Altération, Violation,Etrangeté,

وهي تعني، على التوالي: الانحراف، التحريف، الشذوذ، التشويه، الخرق، الغرابة، الإبداع، التجديد؛ وقد وردت هذه المصطلحات جميعها، وكثيرٌ غيرها، في تراثنا النقدي البلاغي[[6]](#footnote-7)، للدلالة على هذا المفهوم المألوف جدا في الذاكرة النقدية العربية، ولم يرد مصطلح "الانزياح" ولو مرة واحدة؛ فلِمَ آثر العرب المعاصرون هذا المصطلح الدخيل على المصطلحات الأصيلة، فاستراحت إليه آذانهم، وكثر عليه إقبالهم، وثقل عليهم أن يستعملوا بدلَه "العُدول"، مثلا، أو "الإغراب"، أو "التغيير"، أو "الإبداع"، أو "التجديد"، أو "التجاوز"، أو "الخرق"، أو غير ذلك؟

كأنما وجدوا أنه يفضلها دقة وشمولا ومناسبة لمقابله في البيئة الغربية حيثُ مصدرُ المصطلحات الجديدة التي تبحث لها عن مقابل عربي مناسب. أو كأنما كان مما فات العرب الأوائل من العلوم والمصطلحات، ومما ترك الأول للآخر؛ فقد كان صالحا أن يُعبَّر به عن المفهوم الذي عرفوه وأفاضوا في الكلام عليه، ولكنهم لم ينتبهوا عليه، حتى كان العصر الحديث فكان هذا المصطلح مما استدركه الأخفش على الخليل !

لنعد إلى أصل هذا "الانزياح" في العربية لنرى إن كان يصلح للدلالة على هذا الغرض، ناهيك عن أن يكون أكثر من غيره وفاء بمفهومه واشتمالا عليه.

"الانزياح" في لسان العرب مصدرٌ للفعل المطاوع "انزاح". و"انزاح" فعلٌ مَزيدٌ أصلُه "زاحَ". و"زاحَ الشيءُ يزيحُ زيْحاً وزُيُوحاً وزِيُوحاً وزَيَحاناً، وانزاحَ: ذهبَ وتباعدَ (...) وفي حديث كعب بن مالك: زاحَ عنّي الباطلُ، أي زالَ وذهبَ."[[7]](#footnote-8)

فالانزياح في اللغة، إذن، هو الذهاب والتباعد والزوال. والإزاحة هي فعله المتعدي؛ وتعني الإزالةَ والإبعاد للشيء، لذلك ورد في "أساس البلاغة": "أزاحَ اللهُ العِلل، وأزحْتُ علته فيما احتاج إليه، وزاحت علتُه وانزاحت. وهذا مما تنزاحُ به الشكوك عن القلوب."[[8]](#footnote-9) والانزياح في كل هذه العبارات يعني زوالَ الشيء زوالا لا يبقى معه وجود، ولا يعني مجرد البعد، أو التحول إلى وضعٍ ما، أو الانتقال إلى مكان آخر، أو الانحراف إلى جهة معينة، أو العُدول إلى طريقٍ مختلف.

إذا قيل: إن الانزياح في الكلام معناه ابتعاد الكلام عن القاعدة أو المألوف والعادة، لم يكن ذلك صحيحا؛ لأن الابتعاد الذي ذكره علماء اللغة تفسيرا لمعنى الانزياح إنما هو الابتعاد الذي يتحقق معه الزوال حتى لا مساسَ ولا علاقة، بل قطيعة وانفصال. قد يقال: إن المفهوم المقصود بالانزياح هو كذلك؛ فخرق القاعدة انفصال عنها، والانحراف عن المعيار انقطاع، والعدول عن المألوف إزاحةٌ له وإبدالٌ لِغيره به. ولكن الانزياح، مع ذلك، وضعته اللغة للدلالة على معنى الزوال لا الإشارة إلى معنى زائد على الزوال وهو التحول والتغيير والتبديل والانتقال.

المصطلحات التي استعملها التراث العربي للدلالة على هذا المفهوم هي التي تتضمن الإشارة إلى هذا المعنى الزائد؛ معنى التجاوز والتحول والتغيير والتبديل والانتقال. "العُدول"، مثلا، يتضمن حركة الانتقال من شيء إلى شيء. و"الانحراف" كذلك يتضمن معنى الابتعاد عن شيء إلى شيء، و"الإغراب" يتضمن معنى التحول من حال إلى حال، و"التغيير" واضح في دلالته على وجود شيئين يحدث الانتقال من أحدهما إلى الآخر، و"الإبداع" لا يخطر في البال إلا ومعه معنى المخالفة والمفاجأة والمفارقة لما هو معروف إلى ما هو غريب جديد؛ وليس كذلك لفظ "الانزياح" الذي يعني الزوال أو التنحي[[9]](#footnote-10) وحسب.

إن أحرى المصطلحات بالاضطلاع بحمل هذا المفهوم هي "العُدول" و"الإغراب" و"الإبداع". وليس من الضرورة أن يضطلع واحد منها بمفرده بالدلالة على كل أنواع الخرق والمخالفة والمغايرة والجدة التي تحصل في اللغة الأدبية، بل بالإمكان استعمال "العدول" حين يُراد التعبير عن مختلف صور الخروج عن القاعدة والمخالفة للمعيار، وأن يُستعمل "الإغراب" حين يُراد معنى المفارقة والمفاجأة والخروج عن المألوف والسائد، وأن يُستعمل "الإبداع" حين يراد معنى الإتيان بالجديد الطريف المدهش المتميز. وهذا أجدى على اللغة وعلى النقد والأدب من حشر كل مظاهر الحياة والتجدد والسحر والفتنة فيها في مصطلح واحد لا دلالة له في أصل اللغة إلا على الزوال والتنحي والانكشاف.

ومن العجيب أن المصطلح الذي لم يجد له مكانا في تراثنا العربي، -لا لشيء سوى لأن دلالته اللغوية لا دلالةَ لها على هذا الذي يحصل في الكلام من الانتقال باللغة من المألوف إلى المختلف، ومن المعروف إلى الغريب، ومن القديم إلى الجديد، ومن الرتيب إلى المتميز-، لم يتّخذ له مقعدا مع جملة المصطلحات التراثية المعبرة عن هذا المفهوم فحسب، بل طفق ينافسها على الأولوية والأفضلية، بل صار يفضلها في الاستعمال والشيوع، وظهر من الباحثين والناقدين من يصرّح بهذا التفضيل بحجج شتى لا تصمد للتمحيص الدقيق.

من هذه الحجج ما قال به أحمد محمد ويس[[10]](#footnote-11) من امتياز في صيغته، وإيحاءِ امتدادٍ في أصواته بما في أصل دلالته اللغوية من الذهاب والتباعد. وما قال به عبد الملك مرتاض[[11]](#footnote-12) من افتقار منافسه "العدول" إلى قوة مفهومية وخلفية معرفية بعدّه مجرد أداة لقراءة نحوية، وارتباط منافسه الثاني "الانحراف" بالمعاني المادية لا الدلالة السيميائية. ثم ما قال به يوسف وغليسي[[12]](#footnote-13) من بناء صيغته المصدرية على الفعل المطاوع خلافا للعدول، وكونِ منافسِه "العدول" مشغولا في حقل آخر، ومنافسِه الآخر "الانحراف" متضمنا دلالة أخلاقية سلبية، خلافا للانزياح، وعذريّتِه في الاستعمال مع شيوعه وانتشاره خلافا لغيره، وضرورةِ أن يُقابَلَ المصطلحان الغربيان المعبران عن هذا المفهوم، وهما: "Ecart" و"Déviation" بمقابلين اثنين، لا واحد، وهما "الانزياح" للأول و"الانحراف" للثاني.

ولا أرى هذا المسلك في الاحتجاج إلا شبيها بمسلك من يحتال في إقحام امرأة في منافسة تخص الرجال، ثم يحكم لهذه المرأة بالأفضلية عليهم لرقة في صوتها وملاحة في طلعتها وحلاوة في روحها ولبكارة حضورها في ذلك الحقل وحظوتها بالقبول والإعجاب. ذلك أن مصطلح "الانزياح" –في رأينا- لا حقَّ له أصلا في دخول منافسة الدلالة على المفهوم المراد للسبب الذي ذكرناه؛ وهو دلالته اللغوية على الزوال والتنحي والذهاب والانكشاف، وليس على التجاوز والتغيير والانتقال.

وقد ذكّر يوسف وغليسي، كما ذكّر أحمد ويس قبله، بالدلالة اللغوية للانزياح في لسان العرب؛ ولكنهما، على ما يبدو، لم يدققا في هذه الدلالة، بل خطفا خطفاً لفظَ "التباعد" الوارد في شرح دلالة الانزياح، واكتفيا به في التعويل على مناسبة الدلالة على ما يحصل في الكلام، الأدبي خاصة، من الابتعاد عن المعيار والمألوف والسائد، وذهبا بعد ذلك يجادلان في أفضلية الانزياح على غيره في الوفاء بهذه الدلالة، دون انتباه على أن هذا "الانزياح" قد دخل المنافسة بتأشيرة مزوّرة لا شرعية؛ ذلك أن "التباعد" المذكور في شرحه يوحي بالاختفاء لا قطع المسافة الطويلة، ويعني الزوالَ لا الانتقال إلى جهة ثانية. وكذلك "الذهاب" لا يعني قطع المسافة و"الانصراف إلى.." كأن يُقالَ "ذهبَ الناس إلى أشغالهم"، بل يعني الزوال والاختفاء كما في قول الشاعر:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمْ وبقيتُ في خَلَفٍ كجلد الأجربِ

أي: ماتَ وفنيَ وزالَ، وليس ابتعد أو انتقل؛ إذ ليس يعني الشاعرَ انتقالُهم –إن كان يؤمنُ بانتقال الميت إلى حياة أخرى- بل يعنيه زوالُهم واختفاؤهم لا غير.

ويؤيد ما نذهب إليه ما ورد في أساس البلاغة من معاني الاستعمال العربي للفظ "الانزياح". وأن النقاد والبلاغيين العرب لم يخطر لهم أن يستعملوا هذا الانزياح للدلالة على حركة الإحلال لحرف أو لفظ أو تركيب أو أسلوب أو تصور وموقف محل آخر، واستعملوا مصطلحات أخرى كثيرة. وأننا ما زلنا إلى الآن نستعمل "انزاح" و"أزاح" بمعنى "انكشف: اختفى وانمحى" و"أزال".

أما القول بالميزة الصوتية والإيحاء بالامتداد في لفظ "الانزياح" فهو يصح لو صحت دلالة اللفظ على المفهوم المراد؛ أما قبل ذلك فيصح لنا أن نقول: لنستعمل، إذن، مصطلح "الانسياب" أو "الانثيال" أو "الاندياح"، فكل واحد منها لا يقل حلاوةَ جرس وإيحاءً بالامتداد من "الانزياح"؛ ولكنه، مثله، لا يفي بالدلالة على المعنى المراد.

وأما القول بأفضليته على "العُدول" و"الانحراف" لاختصاص أولهما بالحقل النحوي واختصاص الثاني بالمعاني المادية، فمعلومٌ أن المصطلحات تنتقل من حقلٍ إلى آخر، ومن المحسوس إلى المجرد، ولكنها لا تنتقل من أصل دلالتها اللغوية إلى دلالة لا علاقة لها بهذا الأصل إلا في حالات قليلة شاذة.

وأما القول بأفضلية البناء على الفعل المطاوع، وبكارة استعمال الانزياح في حقل الأدب ثم شيوعه، وضرورة أن يُستعمَل في مقابلة مصطلحين غربيين اثنين مصطلحان عربيان اثنان كذلك، فإن جوابه هو أن المطاوعة، في هذا المقام، تدل على خلاف الواقع الأدبي الذي يُرادُ أن يدلَّ عليه مصطلح "الانزياح"، إذ التجاوز والإغراب والمخالفة والإبداع والتغيير ظاهرة كلامية لا لغوية؛ أي لا توجد بنفسها وجودا تلقائيا في اللغة بل يوجدها المتكلمُ، مستعملُ اللغة، بفعلٍ متعمَّدٍ مقصودٍ –ولو بطريقة عفويةٍ لا شعوريةٍ أحيانا- قصدَ الإدهاش والإثارة والتميز؛ وإلا فما فضلُ الأديب المبدع على غير الأديب أو الأديب المقلِّد، إن كانت اللغة هي التي تفعل بنفسها لا هو الذي يفعل؟

ثم إن المصطلحات النقدية والبلاغية المستعملة في هذا المجال، والمستقرة في الاستعمال، أكثرها مبنيٌّ على الفعل المتعدي لا المطاوع، كالتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والتلميح والإيحاء والتمثيل والتشخيص والتصوير والتشكيل، والمجانسة والمشاكلة والموازنة والمطابقة والمقابلة، والإيجاز والحذف والتقديم والتأخير والإخبار والإنشاء..، فهل نشعر، ولو أدنى شعور، بأنها لا تفي بالدلالة على المفهوم الذي وُضعت لأجله؟ كلا. بل العكس هو الصحيح؛ فهي الأدلّ على أن ما يحدث في الكلام من التميز والتنوع، وما يحصل فيه من الغرابة والخلابة، إنما هو بفعل فاعل، لا بانفعال ذاتي من اللغة المقروءة.

وليس تكفي عذرية الاستعمال في غياب شرعيته، كما لا يُغني شيوعُه مع عدم أهليته؛ وإلا فقد شاع شيوعا فاحشا، في كلام العامة والخاصة وخاصة الخاصة، استعمال "طالما" بمعنى "ما دام"، فهل يعطي ذلك الشيوع –الناتجُ عن الجهل والكسل والقصور-شرعيةً لاستعمال "طالما" حيثُ المُرادُ "ما دام"؟

كما لا ضرورةَ لاستعمال مقابِلين عربيين لمصطلحين غربيين إذا كانا يعبّران عن مفهوم واحد[[13]](#footnote-14)؛ وإلا فقد استعمل الغرب مصطلحات كثيرة، بعضُها بشِعٌ، كـ"البشاعة"، ومختلٌّ كـ"الاختلال"، وشاذٌّ كـ"الشذوذ"، ومجنونٌ كـ"الجنون".. فهل يجب أن نجد المقابل العربي لكل هذه المصطلحات المريضة؟ وهل يجب على العربي أن يحذو حذو الغربي شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى ولو دخل جحرَ ضَبّ؟!

ليس لمصطلح "الانزياح"، إذن، أيةُ شرعية للدلالة على "استعمال المبدع للغة مفرداتٍ وتراكيبَ وصوراً استعمالا يخرج بها عما هو معتادٌ ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وإبداع وقوةِ جذبٍ وأسر."[[14]](#footnote-15) ولئن حصل أن شاع هذا المصطلح وترسّخ، فقد حصل ذلك في غفلة من المسؤولية اللغوية والدقة العلمية، كما شاعت أمراض كثيرة في أمتنا العربية. ويبقى الخطأ خطأً ولو شاع، والمرض مرضا ولو تفشّى، ولا شرعيةَ لسلطة جاءت بانقلاب على سلطةٍ شرعية.

نخلص في ختام هذا البحث إلى القول: إن من الشروط المنهجية لوضع المصطلح العلمي وجود علاقة تربط المدلول الاصطلاحي بالدلالة اللغوية.وإن الخطاب النقدي العربي المعاصر قد فرّط في أحيان كثيرة في هذا الشرط خصوصا وفي غيره من الشروط؛ فأدى ذلك إلى تحريف دلالات مصطلحات نقدية عربية محورية لها عراقة في التاريخ وتجذر في الذاكرة؛ إمّا توسيعا يخالف الهوية ويخلط بين الأجناس كما حصل مع "الشعر" و"الشعرية"، وإمّا تضييقا يزوّر الحقيقة ويحرّف الوظيفة ويُغري بعزل المفهوم عن حركة الحياة كما حصل مع "النقد" و"الأدب" و"البلاغة"، وإمّا خروجا تاما عن الدلالة اللغوية للمصطلح في الثقافة العربية، بما يفصل تاريخ المصطلح إلى قسمين لا يلتقيان: قسم هو دلالة المصطلح أو الكلمة قبل القرن العشرين أو النصف الثاني منه لا أقل، وقسم هو دلالته في الخطاب العربي المعاصر، كما حصل مع "النص" و"الإبداع" و"الانزياح". وفي كل ذلك خيانةٌ للمعنى الذي ينبغي أن تكون له جاذبيته في صناعة المصطلح، ووقوعٌ في إغراء الحداثة التي من مبادئها الرشد والنقد. وقد كان ينبغي أن نكون على قدر من الرشد حتى لا نكون تبعا لغيرنا ونحن نضع المصطلحات للمفاهيم، وأن نمارس قدرا من النقد حتى لا نكون عالة على صانعي الأفكار ومنشئي النظريات والمفاهيم في ظلال شروط تخصهم، ولأجل أهداف قد تضرنا حين تنفعهم.

1. ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص230، مادة (بدع). [↑](#footnote-ref-2)
2. الجرجاني، التعريفات، ص16. [↑](#footnote-ref-3)
3. المعجم العربي الأساسي، ص135. [↑](#footnote-ref-4)
4. ابن رشيق، العمدة، ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ- 1981م، 1/265. [↑](#footnote-ref-5)
5. لمرجع نفسه، 1/265. [↑](#footnote-ref-6)
6. ينظر : أحمد محمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص35-62. ومسعود بودوخة، عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 1432-2011، ص51. [↑](#footnote-ref-7)
7. ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص1897.مادة (زيح). [↑](#footnote-ref-8)
8. الزمخشري، أساس البلاغة، ص198. [↑](#footnote-ref-9)
9. ينظر: المعجم العربي الأساسي، ص592. [↑](#footnote-ref-10)
10. ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، الكويت، م25، ع3، يناير-مارس 1997، ص66-67. [↑](#footnote-ref-11)
11. ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص219-220. [↑](#footnote-ref-12)
12. ينظر:عبد الملك مرتاض، قراءة النص، مؤسسة اليمامة،كتاب الرياض، عدد 46-47، أكتوبر-نوفمبر 1997، ص306-308. [↑](#footnote-ref-13)
13. من الأمانة والإنصاف الإشارةُ إلى أن يوسف وغليسي يدافع عن الانزياح من موقع الباحث عن الترجمة الأقرب إلى المطابقة التامة مع المنظومة المصطلحية الغربية لهذا المفهوم؛ حيث يرى أن الغرب يعبر عن فعل "الانزياح" بصيغة المطاوعة (S’écarter ). وأن "الكتابات الأسلوبية الفرنسية تستعمل كلمتي (Ecart) و(Déviation) في الوقت ذاته (...) وليس من اللائق علميا أن نترجمهما معا بالمشترك اللفظي (انحراف)، بل الأمثل أن نترجم الكلمة الأولى بـ: (انزياح) ثم نمحّض (الانحراف) للكلمة الثانية." (إشكالية المصطلح، ص218). ومع ذلك فإن موقفه هذا لا يسلم من الضعف؛ لأن الحرص على المطابقة الحرفية مع المصطلح الأجنبي هو سبيل النمط التقليدي من الترجمة، أو ما يسميه طه عبد الرحمن الطريقة التحصيلية أو التعلمية (ينظر: طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة: 1-الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2008، ص301-305.) واعتقاد وجوب المطابقة مع الآخر في مفاهيمه وطرائقه في الاصطلاح عليها هو اعتقاد غير علمي وغير "حداثي". وإذا كان وغليسي يعترض على "الانحراف" لدلالته الأخلاقية السلبية –ونحن نوافقه على ذلك- فلِمَ يقبله مقابلا للمصطلح الفرنسي "Déviation"؟ بل لِمَ لا يعترض على الفرنسيين أنفسهم استعمالَهم هذا المصطلح السلبي الدلالة في لغتهم وثقافتهم هم كذلك؟ ثم إن الانزياح مُعتَرضٌ عليه للأسباب التي أسلفنا، فلا وجاهةَ لاقتراحه أحدَ المقابلَين للمصطلحين الأسلوبيَّيْن الفرنسيَّيْن. [↑](#footnote-ref-14)
14. أحمد محمد ويس، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، ص5. [↑](#footnote-ref-15)